# المحاضرة الثالثة: الممالك البربرية والعلاقات بين الممالك البربرية والفينيقيين

## أولا: لمحة عن الفينيقيين والحضارة الفينيقية:

### 1- أصل التسمية:

التسمية الفينيقية مأخوذة من كلمة "Phoinios" والتي تعني في اللغة الإغريقية اللون الارجواني المرتبط بالنشاط التجاري للفينيقيين، حيث اشتهر الفينيقيين بصناعة الاصباغ والملابس ذات اللون الارجواني؛ فتكون بذلك التسمية الإغريقية مهنية وليست إثنية.

### 2- الموقع الجغرافي:

يقع الساحل الفينيقي أو الشامي والذي يضم ثلاث دول (سوريا، لبنان، فلسطين)، في الجهة الشرقية للبحر الأبيض للمتوسط، وهو بذلك يتوسط ثلاث قارات كبرى هي: آسيا إفريقيا وأوروبا، الامر الذي جعل منه محط ترصد وأطماع للشعوب المجاورة والمعروف حاليا باسم، وقد أسس الفينيقيون على سواحله مدن كثيرة أشهرها: أوغاريت، صور صيدا، وبيروت، وغزة وغيرها.

تضاريس البلاد الفينيقية الجبلية والسهول الضيقة وموقعها الجغرافي المطل على البحر كان له تأثيره المباشر على توجهات الفينيقيين، بعيدا عن عالم الزراعة والإنتاج الفلاحي، حيث اشتهروا بصناعة السفن وركوب البحار بغرض التجارة وتسويق منتجاتهم النسيجية عبر في مختلف مدن البحر الأبيض المتوسط.

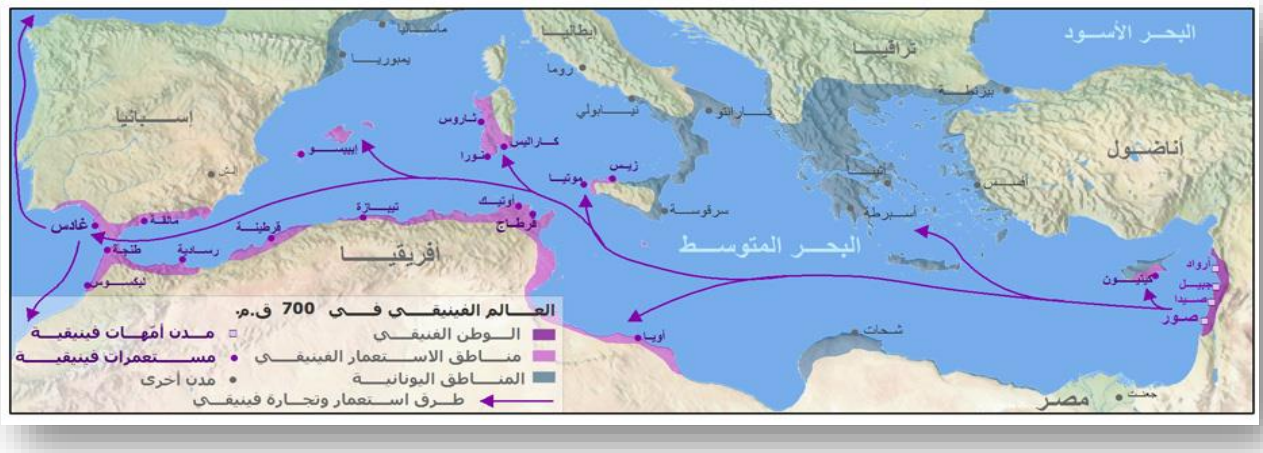

## 3- مراحل التواجد الفينيقي في شمال افريقيا:

يقسم المؤرخين مراحل التواجد الفينيقي في إلى قسمين والى مرحلتين هما:

**أ-مرحلة الوصول والاستكشاف:** في غياب الشواهد الأثرية الكافية لم يتمكن المؤرخين من تحديد هذه الفترة بدقة حيث اجمع الكثير منهم أنها تبدأ في حدود أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد، اين تم فيها تأسيس مجموعة من المستوطنات منها مستوطنة اوتيكا سنة 1101ق.م في الساحل الشرقي لتونس حاليا وقبلها بسنوات قليلة تم تأسيس مستوطنتي قادس بشبه الجزيرة الايبيرية وليكسوس على الساحل الغربي للمغرب الأقصى سنة 1110ق م.

تمتد هذه المرحلة إلى غاية القرن الثامن قبل الميلاد أين اكتفى فيها الفينيقيون بتأسيس مراكز مؤقتة للراحة عند التنقل من منطقة لأخرى ولم يكن الهدف منها الاستقرار فيها، وما يؤكد ذلك غياب المقابر في هذه المراكز حيث لم يدفن الفينيقيون موتاهم فيها وكانوا يدفنوهم في الوطن الأم فينيقيا.

وقد عرف الفينيقيون في هذه المرحلة مختلف مناطق المتوسط وشعوبها وكان ذلك عن طريق التبادل التجاري الذي تم عن طريق المقايضة بطرق سلمية أساسها الثقة في التعامل، الأمر الذي دفع بشعوب المتوسط إلى الرغبة في التعامل مع الفينيقيين لما وجدوا فيهم من ثقة في التعامل وما لهم من منتجات صناعية هامة تفتقر لها المنطقة.

**ب- مرحلة الاستيطان و الاستغلال :** يمكن القول أن هذه المرحلة مكملة للمرحلة الأولى حيث تحولت فيها المراكز التجارية و المستوطنات المؤقتة إلى مستوطنات دائمة للتجار الفينيقيين الذين اختاروا البقاء و الاستقرار فيها ولأبنائهم بديلا للوطن الأم في فينيقيا، أين أصبحت مدنا كبيرة نتيجة استقطاب عدد من الفينيقيين الذين هاجروا إليها لأغراض تجارية وأخرى أمنية بعيدا عن الصراعات الداخلية و الخارجية التي شهدتها المدن الفينيقية في فنيقيا، حيث أصبحت هذه المستوطنات التي أسسها الفينيقيون في الحوض الغربي للمتوسط فيما بعد ملجأ لهم فيما بعد بسبب الهجمات الأشورية على المنطقة، وقد تنامت قوة المدن الفينيقية كثيرا في الحوض المتوسط وانتقلت الزعامة إلى إحداها والتي أصبحت تمثل القاعدة والسلطة المركزية لجميع المستوطنات بعد ضعف وسقوط السلطة في الوطن الأم ونقصد بذلك مدينة قرطاج.

## 4-المستوطنات الفينيقية في بلاد المغرب القديم

**أ- تأسيس قرطاج:** يعتبر تأسيس مدينة قرطاجة سنة 814 ق.م أهم حدث تاريخي في مسار التوسع الفينيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وحتى على بلاد المغرب الذي يبدأ تاريخه منذ هذه الفترة الحاسمة، وتكمن

أهمية المدينة الجديدة في لدور الكبير الذي لعبته على الصـــعيد الإقليمي والدولي بناءا على المكانة الريادية التي حققتها في المجالات الســياســية العســكرية والاقتصــادية تجاه بقية المراكز والمرافئ الفينيقية في المنطقة إلى غاية سقوطها في أيدي الاحتلال الروماني.

وقد أطلق الفينيقيون تسمية قرطاجة والتي تعني "قرت" اي المدينة و"حدشت" اي الجديدة ويصبح المعنى المدينة الجديدة، وتبعد قرطاجة عن المستوطنة الفينيقية "اوتيكا: اي المدينة العتيقة 30 كلم وهي حاليا في شمال تونس، لم يكن اختيار موقع مدينة قرطاجة محض صدفة من قبل الفينيقيين الذين يعرفون المنطقة جيدا بحكم انهم اسسوا فيها مدن تجارية كأوتيكا، لهذا اختاروا موقع اســتراتيجي لبناء مدينة قرطاجة مقابلة للبحر وبهذا كانت قرطاجة محصــنة طبيعيا مثل المدن الفينيقية في الشرق الأدنى

**ب-المســـتوطنات الفينيقية في الجزائر:** أما في الجزائر فنجد ان معظم المدن والمســـتوطنات الفينيقية تقع على الساحل نذكر منها:

-**مستوطنة ايكوزيوم icosium : وهي الجزائر** العاصـمة حاليا، حيث أن الشـواهد الأثرية أثبتت أن الفينيقيين هم أول من أسس المدينة وتقع إلى الغرب منها مستوطنات فينيقية أخرى نذكر منها:

- **مستوطنة ايول Iol** : شرشال حاليا ويعتقد أن اسمها اخذ من احد أسماء الآلهة الفينيقية.
- **مستوطنة قورايا** وهي مستوطنة لا تبعد عن شـرشـال سـوى 33 كلم وقد أجريت فيها حفريات أثرية كشـفت عن وجود مقابر بونية تعود للقرن الرابع و الثالث قبل الميلاد.
- **مستوطنة كارتينا cartenna** (مدينة تنس حاليا)، و**بورتوس ماغنوسportus magnus** (مدينة ارزيو حاليا)
- **مستوطنة صالداي saldai** (بجاية حاليا)، **ايجيجلي ijiljli** (جيجل حاليا) ، **شولو chullu** (القل بسكيكدة)،
- **روسيكادا rusikade** (سكيكدة حاليا)، **هيبوريجيوس hippo regius** (عنابة حاليا).

كما سجل الحضور الفينيقي الاستيطان في المناطق الداخلية منها: تبسة، قالمة، سيرتا، ميلاف، وتيديس وغيرها الأمر الذي يوحي بالتأثيرات الفينيقية في الحوض الغربي عموما والجزائر على الخصوص.

## ثانيا: الممالك البربرية المحلية

وردت إشارات في المصادر اللاتينية و الإغريقية عن وجود سلطة سياسية في بلاد المغرب منذ وصول الفينيقيين إلى سواحله، غير أننا لم نعرف هذه الممالك ولا حياتها الحضارية إلا بعد الصراعات التي عرفتها المنطقة و الذي كان المغرب القديم وسكانه طرفا فاعلا فيه سواء في الصراع الأول القرطاجي الإغريقي أو في الصراع الثاني القرطاجي الروماني، وعندما كان له هذا الدور الكبير بدأت المصادر الكلاسيكية تكتب عن سكان المغرب القديم وعن حياته الحضارية التي تختلف تماما عن الحياة عند الإغريق و الرومان، إلا أنها إشارات قليلة لا تشفي غليل الباحث للإجابة عن كثير من التساؤلات التي يطرحها، ومن الإشارات التي تدل على وجود ممالك محلية وطنية في بلاد المغرب القديم نذكر :

– ورد في أسطورة عليسة اسم ملك ليبي يدعى حيرباص hirbas والذي طلب الزواج من الملكة عليسة، وهي إشارة عن وجود نوع من التنظيم السياسي أواخر القرن التاسع قبل الميلاد .

– ومن الآثار المادية التي تدل على ذلك أيضا ضريح أمدغاسن الذي يرجع تاريخ تشييده حسب الآثار والمؤرخين إلى القرن الرابع قبل الميلاد والذي يعتقد انه قبر لأحد ملوك العائلة النوميدية التي ترجع إلى أجداد الملك النوميدي ماسينيسا.

كل هذه الإشارات تدل على وجود أنظمة سياسية في بلاد المغرب القديم تعاملت الفينيقيين منذ وصولهم إلى سواحل شمال إفريقيا واستمرار التطور السياسي والاجتماعي في المنطقة، مع تطور الأحداث فيها إلى جانب قرطاجة ثم الرومان فيما بعد.

## 1-الممالك المحلية القديمة:

**أ- الماسيل أو نوميديا الشرقية:** تدعى ماسيليا نسبة إلى قبائل الماسيل التي أسست هذه المملكة، تمتد من الحدود القرطاجية شرقا إلى رأس بوقرعون غربا والقبائل الجيتولية جنوبا، عاصمتها سيرتا، وأقدم ملوكها نجد غايا أب الملك ماسينيسا، تطورت نوميديا كثيرا في عهد الملك ماسينيسا الذي استطاع توحيدها وإحياءها اقتصاديا وتأسيس دولة قوية تنافس أقوى الدول القديمة والتي استمرت لمدة زمنية طويلة بعد وفاته.

**ب-المازيسيل أو نوميديا الغربية:** تدعى ماسيسيليا نسبة إلى قبائل المازيس، تمتد مملكة الماسيسيل من الشرق من رأس بوقرعون وهو الحد الفاصل بين مملكة الماسيل والمازيسيل إلى واد ملوية غربا الذي يفصل بين مملكة المازسيسل ومملكة المور، وعاصمتها سيغا siga أقدم ملوكها هو سيفاكس، وقد تميزت بخصوبة أراضيها وانتشار زراعة الحبوب أكثر من نوميديا الشرقية وتربية المواشي.

وقد توحدت المملكتين على يد الملك ماسينيسا بعد انتصاره على الملك صيفاقس، وذلك سنة 202ق.م، وتصبح بذلك تحت اسم **مملكة نوميديا الموحدة (202ق.م-46م ق.م)**

**ج-مملكة موريطانيا:** تمتد مملكة المور من واد الملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا والقبائل الجيتولية جنوبا، أقدم ملك لها نجد باغا baga الذي ساند كثيرا الملك ماسينيسا لاسترجاع مملكة أبيه التي استولى عليها الملك سيفاقص، الأمر الذي يوحي بالعلاقات السلمية والمتطورة بين الماسيل والمور.

توسعت مملكة موريطانيا على حساب نوميديا مرتين، الأولى كانت في عهد بوخوس بعد نهاية حرب يوغرطة سنة 105ق.م وصلت في توسعاتها شرقا إلى واد الصومام تقريبا والمرة الثانية بعد انهزام يوبا الأول في معركة تابسوس سنة 46ق.م حيث توسع بوخوس الثاني شرقا إلى غاية الواد الكبير تقريبا.

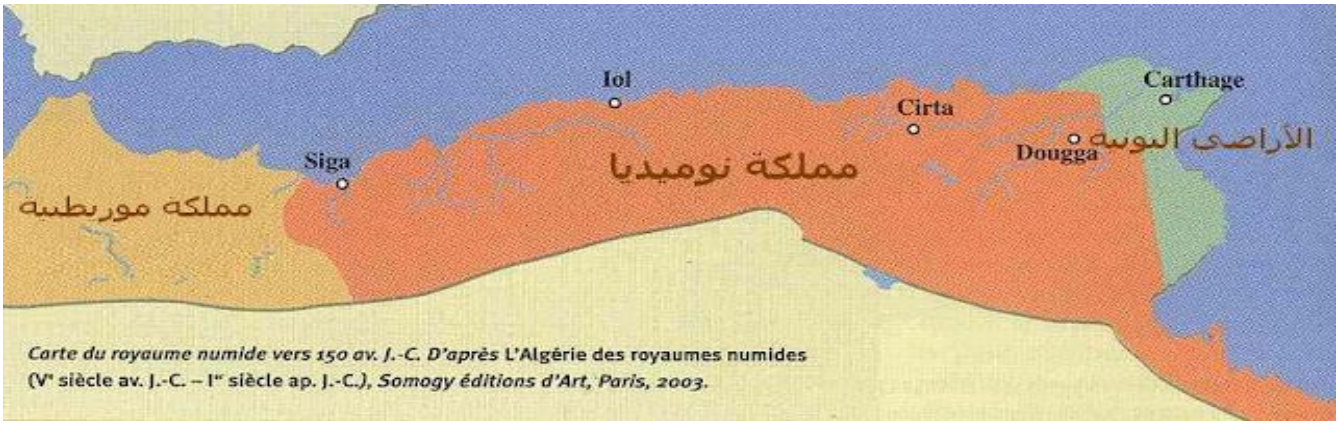

*Carte du royaume numide vers 150 av. J.-C. D'après* L'Algérie des royaumes numides (V^e^ siècle av. J.-C. – I^er^ siècle ap. J.-C.), *Somogy éditions d'Art, Paris, 2003.*

**الحياة السياسية:**

ســـاد النظام الملكي الوراثي في الممالك النوميدية، والملك خاص بالذكور دون الإناث، وكان النظام قبليا يعتمد على القبيلة في الحياة الســياســية أو على شــكل مملكة يحكمها ملك أو الطبقة الارســتقراطية الحاكمة، حيث ينتقل الحكم بعد وفاة الملك إلى الأكبر سنا في العائلة.

**الحياة الدينية والفكرية:**

عبد ســكان بلاد المغرب القديم عامة والنوميد خاصــة مختلف الظواهر الطبيعية ومختلف الآلهة ســوءا كانت محلية أو مقتبسة، منها الحجارة المقدسة والحيوانات كالكبش، الثور، الحصان، الأسد، والكواكب والأنهار وغيرها.

ومن أشـــهر الآلهة التي عبدها النوميد نجد الإله بعل أمون وتانيت، وقد وجدت إشـــارات كثيرة تدل على تقديم القرابين للآلهة في الأعياد والمناســبات الدينية وتطور ذلك إلى تقديم قرابين بشــرية إرضــاءا واســتعطافا للآلهة وقد أدخلت هذه الشـــعيرة وتقديم الأطفال قربانا للآلهة ربما عن طريق الفينيقيين وهو تقليد قديم انتشـــر عند الكنعانيين والشعوب السامية الشرقية.

عبر الإنســـان المغاربي القديم عن افكاره عن طرق النحت والنقش على الصـــخور في المراحل الأولى قبل أن يبتكر كتابة بحروف يمكن من خلالها إيصـــال أفكاره تعرف باســم "الكتابة الليبية " وتكتب إما أفقية من اليمين إلى اليســار أو عمودية من الأعلى إلى الأســفل وعدد حروفها 23 حرف وقد انتشــرت الكتابة الليبية في كامل شــمال إفريقيا في عهد الملوك النوميد.

**الحياة الاقتصادية والاجتماعية:**

مارس سكان بلاد المغرب القديم عدة أنشطة لكسب معيشتهم، منها الصيد إلى جانب الزراعة وتربية الحيوانات (الأغنام، الأبقار والثيران، الأحصــنة، الجمال، الحمار النوميدي) فقد اهتموا كثيرا بتربية وصــيد الحيوانات المفترســة التي كانت مطلوبة في الأسواق الخارجية القرطاجية الرومانية والإغريقية، مثل بيض النعام وريشه وأنياب الفيلة التي يســـتخرج منها العاج وجلد الأســـد والقردة التي كانت تملأ بيوت الطبقة الارســـتقراطية بالخارج وبعض الحيوانات النوميدية كانت تســـتعمل للترفيه في المســـارح الرومانية منذ القرن الثاني قبل الميلاد مثل الأســـود الفيلة النمور النعام.... الخ.

**والزراعة عند النوميديين** قديمة جدا تعود إلى الفترات المتأخرة من العصـور الحجرية خاصـة زراعة الحبوب، وقد وجد في النقوش الجدارية بمنطقة الطاسيلي عروض ومشاهد تظهر إجراء الزرع والحصاد الذي كان يتم على ضفاف البحيرات والأنهار، أين اسـتعملوا في ذلك فؤوس يدوية ومطاحن الحبوب وحجارة مصـقولة وفخار، وسـيتم فيما بعد اسـتخدام المحراث، كما عرفوا المحرفة واسـتخدموا الثيران لحرث الأرض واسـتخدموا المنجل في الحصـاد، وعرفوا التخزين والمطامير ويظهر تطور الزراعة بشكل كبير في فترة حكم الملك ماسينيسا.

كما اهتم النوميديون كثيرا بالزراعة الشـجرية خاصـة الزيتون والكروم والتين ذلك لأهميتها في الحياة اليومية للفرد المغاربي القديم قبل مجيء الفينيقيين، حيث كانت زراعة الزيتون منتشرة بشكل كبير وحيث كان استعمالها كثيرا في الحياة اليومية للتجارة والأكل والإنارة وفي الحمامات لدهن أجسادهم.... الخ .

**أما الصـــناعة في نوميديا** فيمكن معرفتها من خلال النقوش والآثار القديمة، فقد تعددت الصـــناعات النوميدية حيث كان الحرفي النوميدي يمد المزارعيين بمختلف الأدوات الفلاحية مثل المحراث، المحرفة، عربات النقل، والمنجل، ويمد الجيوش بمختلف الأســـلحة مثل الحراب، الخنجر، والســـيوف، والرماح، ونجد أيضـــا حرفيين متخصـصـين في البناء والنجارة والحدادة، ونجد مهنة النسـيج وهي مشـهورة منذ القدم ذلك لتوفر مادة الصـوف كما انتشرت الصناعة الفخارية بمختلف أنواعها والصناعة الغذائية والتحويلية.

وفيما يخص **التجارة** فقد انتشـرت بشـكل واسـع خاصـة في المدن الكبرى السـاحلية والداخلية أين توفرت الأسـواق التي يتم فيها الشـــراء والبيع بين مختلف شـــرائح المجتمع من تجار فلاحين وحرفيين وعادة يكون البيع عن طريق المقايضـــة، وقد كانت التجارة على نوعين داخلية وخارجية حيث كانت هناك علاقات تجارية بين الممالك النوميدية فيما بينها ومع قرطاج والإغريق والرومان ودول الشرق الأدنى.

## ثالثا: العلاقات القرطاجية البربرية

اتســمت علاقة القرطاجيين مع المغاربة في بداية الأمر بتفاهم وكانت قرطاجة تدفع ضــريبة ســنوية للســكان المحليين من بداية تأســيســها إلى غاية القرن 5 ق.م، مقابل اســتغلالها للمواد الخام في المنطقة بهذا نلاحظ أن العلاقة كانت مبنية على تبادل مصلحة بين الطرفين.

تغيرت علاقة القرطاجيين بالسكان المحليين عندما أنهت التزامها الضريبي نحو المغاربة وتأزمت العلاقة أكثر عندما دخلت قرطاجة في صراع مع الإغريق، حيث تغيرت معاملتها مع الامازيغ وبدأت سياسة جديدة مع السكان

المحليين وهي التجنيد في الجيش مقابل المال، وقد شارك البربر كمرتزقة في حروب قرطاجة ضد اليونان وروما ونتيجة لعدم دفع قرطاجة لأجور هؤلاء الجنود الليبيين إثر خسارتها لعدة حروب ثار عليها هؤلاء أدت الى نشوب حرب مدمرة بينهم وبين قرطاجة سنة 241 ق.م عرفت بحرب المرتزقة .

## 1-مظاهر التأثير القرطاجي على المغاربة

### -التأثير القرطاجي في مجال الزراعة:

إن وجود الزراعة في بلاد المغرب القديم يعود لفترة قديمة جدا، رغم ان المصادر الأدبية لم تتفق على رأي واحد فهناك من المؤرخين من يقول أنها غير موجودة مثل أبيانوس وبوليبيوس وان أرض نوميديا عقيمة لا يمكنها إعطاء منتوج زراعي، من جهة أخرى نجد بعض المصادر التي تشير إلى أن الزراعة كانت معروفة عند الليبيين منذ زمن بعيد لكنها اقتصرت على الحبوب أمثال هيرودوت الذي قسم القبائل الليبية إلى قسمين فلاحين مستقرين ورعاة مرتحلين، اما دور الفينيقيين والقرطاجيين فكان المساهمة فيها وتطويرها عن طريق استصلاح الأراضي وآلات الحرث والدرس وتخزين المياه وتطعيم أشجار الزيتون والكروم المحلية

### -التأثير القرطاجي في المجال الديني:

أشارت نقوش كثيرة الى وجود آلهة محلية فقد عبد الليبيين الشمس والقمر إضافة الى آمون وتانيت اللذان أصبحا من الآلهة الكبرى في قرطاجة التي كانت منفتحة على التأثيرات المحلية وكذلك الامر بالنسبة لليبيين.

### -التأثير القرطاجي في اللغة والكتابة:

اللغة التي تكلم بها القرطاجيون في البداية هي اللغة الفينيقية لكن فيما بعد ونتيجة التفاعل مع السكان المحليين تأثرت اللغة الفينيقية باللغة الليبية في مفرداتها وتراكيبها اللغوية ونتج عن هذا التصاهر بين اللغتين لغة جديدة تسمى البونيقية أو البونية واصبحت هي اللغة الرسمية بدواوين الحكومة القرطاجية وكذلك الممالك النوميدية حيث ضرب الملوك عملاتهم النقدية بالكتابة البونيقية.

# المحاضرة الرابعة: الاحتلال الروماني ومقاومته

## أولا: لمحة عن الرومان والحضارة الرومانية

تعد الحضـارة الرومانية واحدة من أعظم وأشـهر الحضـارات العالمية، والتي تمكنت من بسـط نفوذها على أجزاء شاسعة من العالم القديم، وقد امتدت زمانيا لما يقارب 13 قرن أي من سنة تأسيسها سنة 753ق.م إلى سنة 476م والتي عرفت سقوطها على يد القبائل الجرمانية.

**1-أصل التسمية:** سميت هذه الحضارة بهذا الاسم نسبة إلى مدينة روما الإيطالية التي تعد العاصمة التاريخية لهذه الحضارة، والتي تأسست حسب الروايات الأسطورية على يد الاخوين ريموس وروميولوس، وذلك في سنة 753 ق.م. هذا الأخير الذي سميت المدينة نسبة له وهو يعتبر أول ملك لروما.

**2-الموقع الجغرافي:** نشـأت الحضـارة الرومانية في شـبه الجزيرة الإيطالية وسـط البحر الأبيض المتوسـط، وقد بسـطت نفوذها على مناطق جغرافية شـاسـعة، فقد شـملت معظم قارة أوروبا، ومنطقة شـمال إفريقيا، والجزء الغربي للقارة الاسـيوية المحاذية للبحر الأبيض، وبالتالي سـيطرت على أهم الأراضـي والمسـاحات الزراعية والمنافذ البحرية التجارية آنذاك.

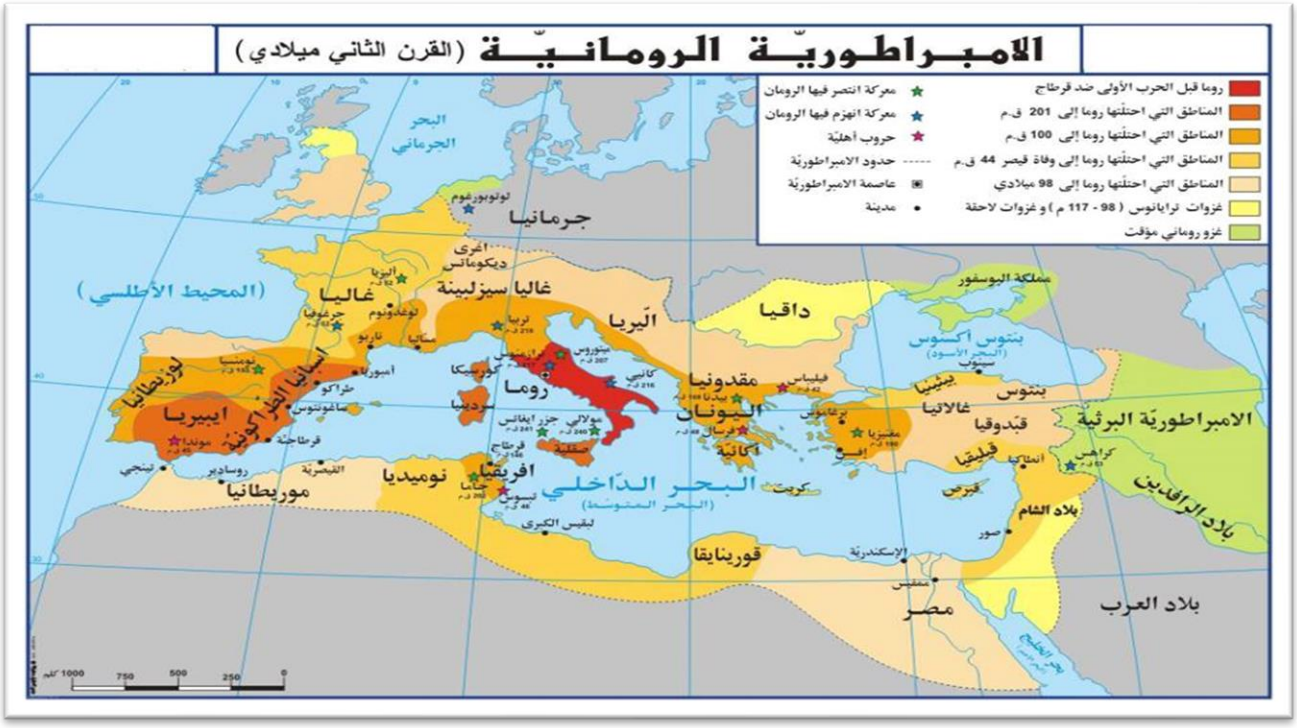

## ثانيا: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم

### 1- الحروب البونية وسقوط قرطاجة

الحروب البونية أو الحروب البونيقية هي سلسلة من ثلاث حروب كبرى جرت أحداثها خلال الفترة 264_146 ق م، بين القوتين الكبريين في حوض المتوسط آنذاك قرطاجة وحليفها سيفاقص والرومان بمساعدة الملك ماسينيسا، وكان السبب الرئيس لهذه تعارض المصالح السياسية والاقتصادية بين الطرفين في الحوض الغربي للمتوسط

وقد انتهت بسقوط قرطاجة سنة 146ق.م وعليه كانت نهاية الحضارة القرطاجية التي تم تدميرها وحرق كل ما فيها من معالم حضارية تدل عليها.

### 2-الاحتلال الروماني لنوميديا:

#### أ- وفاة ماسينيسا والاوضاع العامة في بلاد المغرب :

- بعد سقوط قرطاج رسميا سنة 146 ق.م وتحويلها لمقاطعة رومانية افريقية جاء الدور هذه المرة على نوميديا التي عرفت اضطرابات اثر وفاة ماسينيسا سنة 148 ق.م الذي تمكن من توحيد شطريها نوميديا الشرقية(الماسيل)ونوميديا الغربية(الماسيسيل) .

-عرفت نوميديا بعد وفاة ماسينيسا الحكم الثلاثي أول مرة حيث خلفه أبناؤه الثلاثة مستنبعل غلوسة ومكيبسا متقاسمين في ذلك المسؤوليات الادارية والقضائية وغيرها الا أن مكيبسا سرعان ما انفرد بالحكم بعد وفاة شقيقيه حوالي 140ق م.

-حافظ مكيسبا طيلة ثلاثين سنة من الحكم أن يسيطر على نوميديا والحفاظ على العلاقات الودية سواء مع موريتانيا أو مع الرومان.

- توفي مكيبسا تاركا مملكة متقدمة ومترامية الاطراف لأبنائه، اذ ترك بعد وفاته ولدين هما اذربعل وهيمبصال وابن أخوه بالتبني يوغرطة الذي جعل منه وريثا شرعيا مناصفة مع ابنيه وهنا يحصل الحكم الثلاثي الثاني للمملكة .

#### ب- الصراع على العرش ومقاومة يوغرطة:

- بعد وفاة مكيبسا وخلافة أبنائه الثلاثة للعرش بدأت المشاكل تدب بينهم بسبب اختلاف الآراء فلم يتوصلوا لحل غير تقسيم الملكة وهو الأمر الذي رفضه يوغرطة جملة وتفصيلا، فأرسل من يغتال ابن عمه هيمبصال سنة 117ق.م وهو الأمر الذي أشعل ضجة كبيرة في نوميديا بين مؤيد ومعارض إلا أن يوغرطة استطاع السيطرة عليها بعضها بالقوة وبعضها رضيت طواعية.

– كان استنجاد شقيقه الاخر اذربعل بروما الذريعة التي تبحث عنها هاته الاخيرة التي بدأت تترصد خطوات يوغرطة خاصة أنها كانت ترى فيه مشروعا يهدد طموحها بالاستيطان نوميديا وخاصة بعد استيلاء هذا الاخير على سيرتا والتنكيل بالجالية الايطالية هناك .

– سيرت روما العديد من الحملات العسكرية للقضاء على يوغرطة أهمها: حملة القنصل بستيا سنة 111ق. م والتي انتصر فيها يوغرطة، ثم حملة ماريوس سنة 108ق.م والتي كانت تحت قيادة القائد سولا ورغم تحقيقهما لانتصارات مهمة الا أنهما لم يستطيعا القاء القبض على يوغرطة الا بفضل خيانة صهره الملك بوخوس (حاكم موريطانيا) .

– انتهت الحرب التي سميت بحرب يوغرطة بإلقاء القبض على هذا البطل المقاوم وأسره في سجن روما اين تم شنقه أمام العامة .

**ج–مملكة نوميديا مقاطعة رومانية**

– تسبب فشب مقاومة يوغرطة في تغيير الحدود السياسية للمملكة اذ نصبت روما على الجزء الشرقي غودا شقيق يوغرطة، أما القسم الثاني الموالي لمملكة موريطانيا فقد سلم لبوخوس كعرفان شكر من الرومان ووفاء بوعودهم لهذا الأخير بسبب تحالفه معهم لإلقاء القبض على يوغرطة .

– بداية الاستيطان الروماني بشكل كبير خاصة بعد اصدار قانون ساتورنوس 103ق م الذي ينص على اعطاء الحق لقدماء المحاربين في الحصول على اراضي كبيرة وزراعتها (واكيد كانت اليد العاملة من النوميديين) .

–اعتبار مجلس الشيوخ الروماني المملكة النوميدية بانها ملك عام للشعب الروماني المنتصر .

–اصبح مصير نوميديا مرتبطا ارتبطا مباشرا بروما ومن ذلك النتائج المترتبة عن الحرب الاهلية الرومانية (الحرب التي جرت بين يوليوس قيصر وحلفائه ومجلس الشيوخ الروماني وبومبيوس سنة (49–45ق. م) التي اجبرت الملك يوبا الاول على اتخاذ طرف للصراع و للأسف فقد اختار الطرف الخاسر في المعركة فتحالفه مع بومبيوس لم يكلفه خسارة المعركة فقط بل خسارة نوميديا وانتحاره بعد الهزيمة الكبيرة التي تعرض لها هو وحليفه بومبيوس سنة 46 ق. م.

– بعد موت يوبا الاول زالت مملكة نوميديا نهائيا لتحل محلها الولاية الرومانية افريقيا الجديدة أو أفريكا نوفا وتعيين سالويتيوس حاكما عليها وبذلك فقد المغاربة السيادة التي ضل ماسينيسا ويوغرطة بعده يعملان على تحقيقها .

– رغم ذلك لم تهدأ المقاومات المغاربية طيلة الحكم الروماني للمنطقة والذي امتد لما يقرب اربعة قرون أولها كانت ثورة الأمير ارابيون سنة (44 ق.م)

- ثم تلتها ثورة تاكفاريناس(17م-24م)
- ثورة ايديمون خلال الفترة (40-42 م)
- دون نسيان ثورة الاخوين فيرموس وجيلدون خلال الفترة(398م-372م)

## ثالثا: السياسات والتأثيرات الرومانية في بلاد المغرب القديم

اعتمدت روما لإحكام سيطرتها على بلاد المغرب ما عرف تاريخيا بسياسة الرومنة وهي مجموعة من الاجراءات التي وظفها الرومان لتثبيت سيطرتهم على المنطقة وقد تميزت باللين تارة وبالخشونة تارة ولكنها في مجملها تخدم صالح روما دون اعطاء اهمية للنوميديين وقد تمثلت فيما يلي:

**1-التنظيم الإداري:** اتسمت السياسة الإدارية الرومانية في رومنة بلاد المغرب بنوع من المرونة حتى يسهل عليها تجسيد السياسة الرومانية دون عراقيل قد تصادفها من قبل السكان المحليين، وقد تم تقسيم بلاد المغرب إلى أربع مقاطعات بعد اغتيال بطليموس سنة 40م وإعلان أن كامل أراضي بلاد المغرب رومانية.

- **مقاطعة إفريقيا البروقنصلية:** وهي المنطقة التي سيطر عليها الرومان بعد سقوط قرطاج سنة 146 ق.م إضافة إلى إفريقيا الجديدة التي أنشأها قيصر بعد القضاء على يوبا الأول سنة 46ق.م إضافة المدن الساحلية من إقليم طرابلس من ليبيا.
- **مقاطعة نوميديا:** وهي المنطقة التي تمتد من حدود الواد الكبير إلى حدود البروقنصلية.
- **مقاطعة موريطانيا القيصرية:** نشأت المقاطعة القيصرية سنة 42م وهي مقاطعة عسكرية تابعة لسلطة الإمبراطور وبقيت كذلك إلى غاية اية العهد الإمبراطوري الأول 284م وتمتد من الواد الكبير شرقا إلى واد الملوية غربا.
- **مقاطعة موريطانيا الطنجية:** نشأت المقاطعة الطنجية سنة 42م وهي مقاطعة عسكرية تابعة لسلطة الإمبراطور وبقيت كذلك إلى غاية اية العهد الإمبراطوري الأول 284م تمتد من نهر ملوية إلى المحيط الأطلسي.

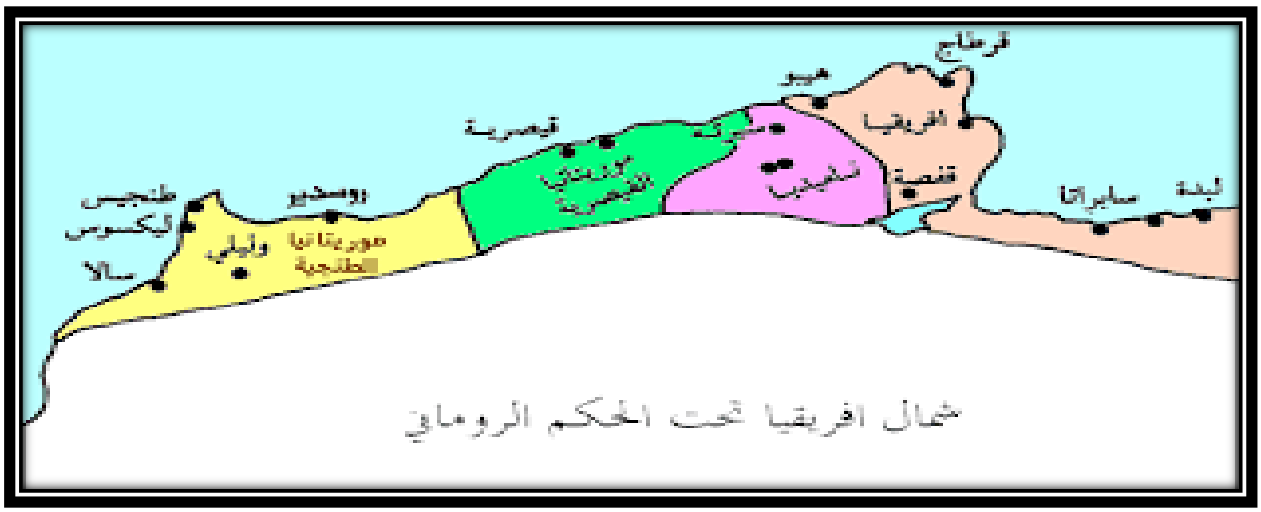


**2-التنظيم الاقتصادي (زراعة صناعة تجارة):**

**الزراعة:** كانت بلاد المغرب مزدهرة كثيرا فيما يخص الزراعة خاصـــة زراعة (القمح والشـــعير) الحبوب والزراعة (الزيتون والكروم) الشجرية حيث عمل الأباطرة الرومان منذ بداية الاحتلال على تشجيع الفلاحين في إنتاج الحبوب والكروم حتى كانت بلاد المغرب الممون الرئيسي لروما بالحبوب وأطلق عليها مطمور روما.

**الصناعة:** على غرار الاهتمام الكبير بالجانب الفلاحي اهتم الرومان بمختلف الصناعات المنتشرة في بلاد المغرب حيث انتشرت صناعة الفخار (فخار نذري لأغراض دينية وفخار منزلي) والتي كانت تتم في ورشات أو مصانع معدة لذلك، والصناعة التعدينية (مناجم الحديد النحاس الرصاص الرخام)، الصناعات البحرية السفن، صناعة النسيج والحلي، الصناعات التحويلية، صناعة الأسلحة .... الخ

**التجارة:** عملت روما منذ احتلال المغرب القديم على تصـــدير مختلف المنتوجات والصـــناعات التي كانت تزخر المنطقة في مقدمة الصـــادرات نجد الحبوب التي كانت تنتج بكثرة في المنطقة إلى جانب الزيوت والخشـــب والرخام حيث انتشرت الأسواق بشكل كبير.

**3- التنظيم الفكري والديني:** سـعت روما منذ بداية الاحتلال إلى نشـر اللغة والكتابة اللاتينية في أوسـاط سـكان المغرب القديم وقد أنشـــأة لذلك مدارس لتعلم القراءة والكتابة والحســـاب هذا في البداية ثم ينتقل الطفل إلى المدن الكبرى لتعلم الآداب اللاتينية والإغريقية والفلســـفة والتاريخ في مراحل متقدمة، كما ســـعت روما إلى نشـــر ألهتها ومعتقداتها الدينية في بلاد المغرب حيث عبد المغاربة الآلهة الرومانية منها الإله مارس، هرمس، ســـيراس، زيوس، كما عبدوا الإمبراطور الروماني باعتباره ألها عندهم.

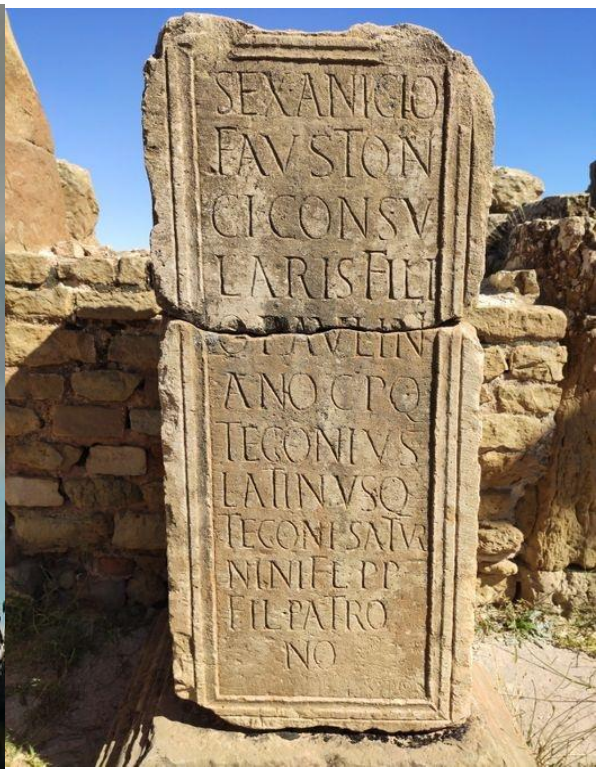


وبوصول الديانة المسيحية إلى بلاد المغرب، اعتنق السكان هذه الديانة الجديدة إذ وجدوا في تعاليمها ما يحررهم من هيمنة وطغيان واستعباد الرومان لهم، فثاروا على ألوهية الإمبراطور وامتنعوا عن الخدمة في الجيش الروماني، وبسبب هذه التعاليم التحررية لاقى المسيحيون الأوائل في بلاد المغرب منذ القرن الثاني ميلادي، اضطهادات كبيرة

تمثلت في صلبهم والتنكيل بأجسادهم ورميهم أحياء للحيوانات الضارية وعانوا من هذه المعاملة القاسية لغاية ترسيم المسيحية واعتبارها دين الإمبراطورية الرومانية سنة 312 ميلادي.

## المحاضرة الخامسة: الاحتلال الوندال ومقاومته

### 1- من هم الوندال:

الوندال أو الفاندال هم إحدى القبائل الجرمانية الأوروبية التي كانت تعيش في منطقة شـــمال وشـــرق أوروبا، وبالتحديد في إقليم إسـكندنافيا (السـويد، الدنمارك، النرويج) قبل أن يهاجروا مع بداية القرن الخامس الميلادي إلى شبه الجزيرة الايبيرية (إسبانيا والبرتغال) ويستقروا فيها إلى غاية سنة 429م، حتى أصبحت هاته المنطقة تعرف باسم "فاندالوسيا" نسبة إلى تلك القبائل.

أما عن ديانتهم فقد كانوا يدينون بالمســـيحية على المذهب الاريوســـي وهو مذهب يخالف مذهب الإمبراطورية الرومانية التي كانت تعتنق المذهب الكاثوليكي.

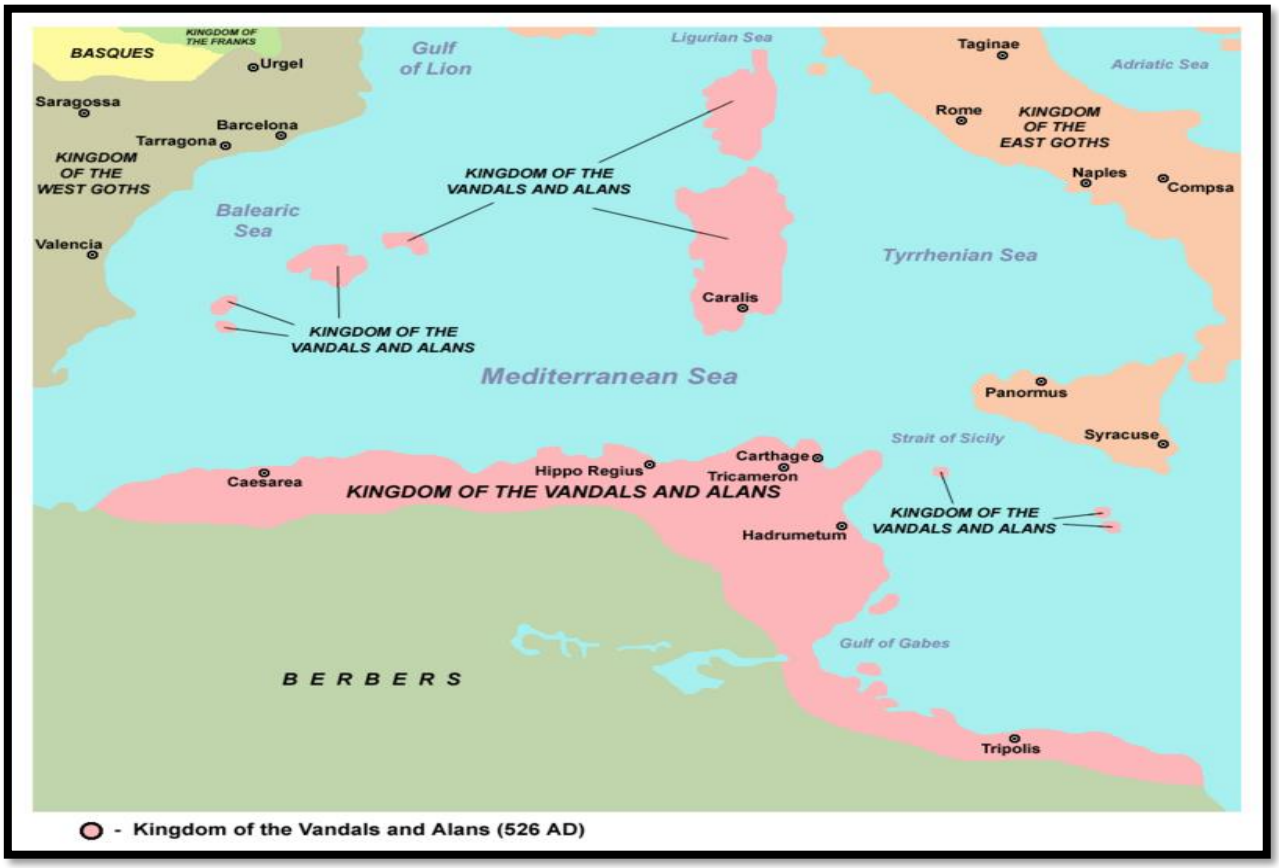


### 2- أسباب ودوافع الغزو الوندالي لبلاد المغرب القديم:

-الثراء والتنوع الاقتصادي الذي تزخر به بلاد المغرب، حيث اشتهرت بإنتاج الحبوب والزيتون والكروم.

-انقلاب الكونت بونيفاس على السلطة الرومانية وربط علاقات تحالف مع الوندال واستدعائهم لاحتلال واقتسام أقاليم المغرب القديم، حيث كان يهدف للانفصال والاستقلال بالمنطقة عن سلطة روما، وقد قبل جنسريق عرض الكونت بونيفاس وبدأ يحضر للحملة.

-الضغط الكبير الذي مارسه القوط الغربيون على القبائل الوندالية في شبه الجزيرة الإيبيرية، وكثرة الحروب مع قبائل السويف، أي أن الأوضاع في شبه الجزيرة الايبيرية والاستقرار فيها بات مستحيلا، فأوجب ذلك على الوندال البحث عن مناطق أخرى، فكانت منطقة بلاد المغرب من بين إحدى الاختيارات الوندالية للاستقرار وتكوين دولة مستقلة .

**3- مراحل الاحتلال الوندالي:**

- تذكر المصادر أن الحملة الوندالية على بلاد المغرب انطلقت سنة 429م، حيث غادرت الجيوش الوندالية شبه الجزيرة الايبيرية باتجاه موريطانيا الطنجية، حيث بلغ عدد الوندال الذين انتقلوا الى بلاد المغرب حوالي 80 ألف وندالي، من بينهم رجال ونساء وأطفال وشيوخ.

- عند وصول الجيوش الوندالية إلى موريطانيا الطنجية لم تتعرض لأي هجوم أو رد فعل من القبائل الموربة ولا من طرف الجيوش الرومانية، الأمر الذي يؤكد العلاقات الحسنة والتحالفات التي قام بها جنسريق مع الكونت بونيفاس قبل الحملة.

- سارت الجيوش الوندالية بعد ذلك نحو الشرق، انطلاقا من طنجة حيث وصلت بعد أربعة أشهر من السير إلى نوميديا سنة 430م.

- لم ترسل الإمبراطورية الرومانية الغربية أي إمدادات تذكر لإيقاف الزحف الوندالي على الأقاليم الرومانية في بلاد المغرب، ولم تنظم أي حملة على الوندال لإنقاذ المنطقة من السيطرة الوندالية، غير الإمدادات التي أرسلها تيودوس إمبراطور روما الشرقية، ولكنها لم تفي بالغرض حيث لم تمنع الجيوش الوندالية من السيطرة على أقاليم نوميديا والوصول إلى هيبوريجيوس في حدود سنة 431م التي حاصرها جنسريق لمدة 14 شهرا إلى أن أسقطها واتخذها عاصمة له.

- أمام هذا الوضع المتأزم غيرت روما من سياستها الدفاعية، وقامت بإبرام معاهدة صلح مع القائد الوندالي جنسريق سنة 435م، اعترفت له وللقبائل الوندالية فيها بالمناطق التي سيطروا عليها، وذلك بعد فشل محاولاتهم في القضاء على الوندال.

– وجد الملك جنسريق في هذه المعاهدة الفرصة لتهيئة الجيوش، وتعبئة القبائل المورية المناهضين لسياسة الرومان للقيام بالحملة الكبرى، وتحقيق الهدف الأكبر وهو الوصول إلى احتلال العاصمة قرطاج والقضاء على سلطة روما في بلاد المغرب.

– وفي سنة439م، حيث استطاع جنسريق أن يسيطر على قرطاج ويجبر روما على توقيع معاهدة استسلام، والاعتراف بالسلطة الوندالية على بلاد المغرب سنة 442م، حيث غادر الوندال بعد هذا التاريخ المنطقة الغربية والوسطى من بلاد المغرب، وانتهى بهما الأمر إلى الاستقرار في المنطقة الشرقية التي كانت أراضيها أكثر خصوبة وازدهارا كما تحتوي على مختلف المرافق الحضارية والعمرانية التي ورثتها عن الرومان.

## 4- الممالك المحلية ومقاومتها للاحتلال الوندالي (429م-534م)

– يذكر المؤرخون وجود عدة ممالك مورية مستقلة عن الوندال، ظهرت وبرزت بمجرد سقوط النظام الروماني في بلاد المغرب على يد جنسريق، والتي بلغ عددها ثمان ممالك من أبرزها: مملكة ألتافا، مملكة الونشريس، مملكة الحضنة، مملكة الأوراس، مملكة النمامشة، ومملكة في طرابلس وغيرها.

– يمكن القول أن العلاقات بين القبائل المورية و الوندال إنحصرت في المجال السياسي وذلك مع بداية الاحتلال، وكان أساس هذه العلاقات هو التحالف بما تقتضيه مصلحة الطرفين، وما يؤكد ذلك السياسة السلمية التي سار عليها الملك جنسريق من بداية الحملة التي قادها الى بلاد المغرب وطول مدة إنتقال الوندال من الغرب إلى الشرق

والى غاية تاريخ احتلال قرطاج سنة 439م هذا ولا نكاد نجد في المصادر التي عاصرت الفترة الوندالية في بلاد المغرب القديم أي ذكر لصراعات وحروب بين الوندال والمور طيلة فترة حكم الملك الوندالي جنسريق، عكس العلاقات التي ستربط المور بالوندال بعد وفاته سنة 477م.

– بموت جنسريق تغيرت سياسة الملوك الوندال اتجاه الممالك المورية، وبدأ الملوك الوندال في مد حدود المملكة الوندالية والتوسع على حساب الأراضي الداخلية التابعة لقبائل المور، الأمر الذي أدى إلى تعكير صفو العلاقات، لتبدأ بذلك سلسلة المعارك والثورات في الممالك المحلية والتي ستستمر إلى غاية الحملة البيزنطية ونهاية الوندال في بلاد المغرب سنة 533م.

وما يظهر سوء العلاقات بين الطرفين الحملة البيزنطية على بلاد المغرب، حيث سعت مجموعة من القبائل المورية إلى مد يد المساعدة للبيزنطيين وربط علاقات تحالف مع القائد البيزنطي بليزاريوس الذي أسقط المملكة الواندالية في ظرف ثلاثة أشهر، وعلى إثره اندثر إلى الأبد شعب الواندال وتشتتت جموعه وضاعت سمعته في كتب التاريخ والأدب.

# المحاضرة السادسة: الاحتلال البيزنطي ومقاومته

## 1-لمحة عن الإمبراطورية البيزنطية

الإمبراطورية البيزنطية ماهي إلا امتداد تاريخي للإمبراطورية الرومانية ويطلق عليها أيضا اسم الإمبراطورية الرومانية الشرقية تمييزا لها عن الإمبراطورية الرومانية الغربية التي عاصمتها روما، وقد ظهرت الإمبراطورية البيزنطية التي عاصمتها بيزنطا بشكل كامل بعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس الاول واقتسام الأقاليم الرومانية بين ولديه، حيث اعتلى عرش روما الشرقية – بيزنطا– الملك اركاديوس وعرش روما الغربية الملك هونوريوس مع أواخر القرن الرابع ميلادي، وقد استمرت الحضارة الرومانية بعد سقوط روما الغربية سنة 476م متمثلة في الإمبراطورية البيزنطية إلى غاية سقوطها في يد الفاتحين المسلمين في القرن الخامس عشر للميلاد على يد محمد الفاتح سنة 1453م.

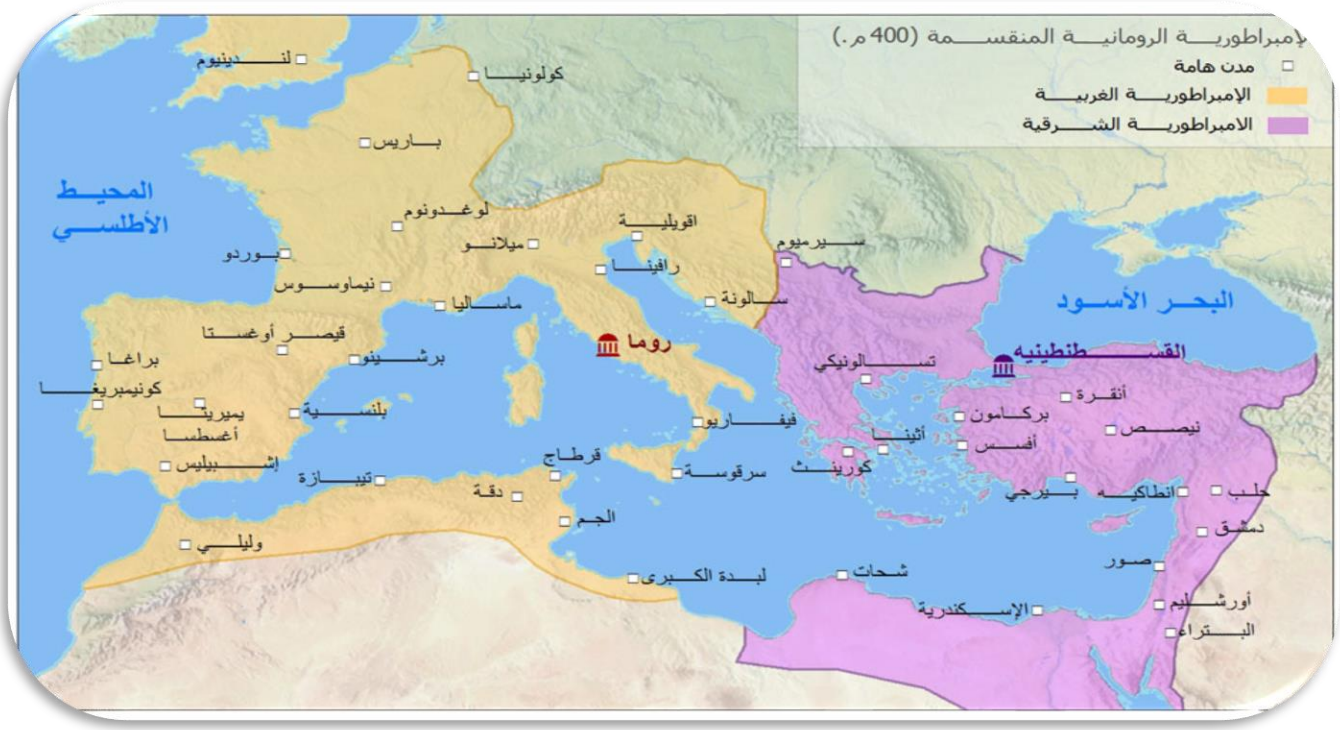


## 2-أسباب الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم: (534م-647م)

-الرخاء الاقتصادي الكبير لبلاد المغرب زاد من رغبة الإمبراطور جوستينيان في تعويض ما خسرته بيزنطا في حروبها في الشرق مع الفرس.

– سعي الإمبراطور جوستينيان منذ وصوله للحكم إلى إعادة تحقيق الوحدة بين الشرق والغرب في إمبراطورية واحدة كما كانت عليه في الفترة الرومانية القديمة وبدأ مشـــروعه باحتلال المغرب القديم الذي كان تحت ســـيطرت القبائل الوندالية والمورية.

– الضـعف الذي دب في المملكة الوندالية، خاصـة بعد تراجع حدود السـيطرة الوندالية بسـبب الحروب الكثيرة التي قامت بها القبائل المورية ضـــد الوندال، والتي أدت إلى ضـــعف وتفكك الجيش الوندالي خاصـــة بعد وفاة الملك جنسريق.

– كثرة الصراعات والانقسامات السياسية داخل البيت الملكي الوندالي.

– كثرة الاضـطهادات الوندالية الأريوسـية على رجال الدين المسـيحيين الكاثوليك في المغرب القديم من أهم أسـباب الاحتلال البيزنطي للمنطقة، اعتبر الإمبراطور جوسـتينيان نفسـه حاميا للديانة المسـيحية ولمعتنقيها في كامل أرجاء العالم القديم.

**3–مراحل الاحتلال البيزنطي وحدود السيطرة :**

أبحر القائد بليزاريوس من بيزنطا باتجاه قرطاج، حيث رسـت الجيوش البيزنطية على سـواحل المدينة عام 533م دون أي مقاومة من الوندال كما كان منتظرا، وقد عرف الصـــراع الوندالي البيزنطي مرحليتين ومواجهتين مختلفتين من الصراع، يمكن إيجازهما فيما يلي:

– **معركة أد ديكيوم** AdDicium**:** التقت الجيوش البيزنطية بقيادة بليزار والجيوش الوندالية بقيادة جلمير في موقعة ديكيوم في سـبتمبر 533م، وانتهت المعركة بانتصـار الجيوش البيزنطية بقيادة ودخول العاصـمة قرطاج واحتلالها وإخضاع سكانها.

– **معركة تريكاماروم** Tricamarum**:** خرج فيها القائد بليزاريوس من قرطاج رفقة مجموعة من الجنود والفرســـان للمعركة الفاصلة والنهائية، وقد استطاع الأخير القضاء على جلمير وقواته في معركة تريكاماروم في ديسمبر533م ، الأمر الذي أدى بهذا الأخير إلى الانسحاب والفرار إلى قبائل حليفة في مقاطعة نوميديا ،وهي آخر مواجهة انتهت بالاحتلال الفعلي للبيزنطيين للمغرب القديم بعد القضاء على الوندال.

**4–حدود السيطرة ومقاومة الممالك المحلية للاحتلال البيزنطي**

وفيما يخص حدود الســـيطرة البيزنطية في بلاد المغرب يمكن القول إن الســـيطرة البيزنطية في بلاد المغرب اقتصرت على تونس حاليا وأجزاء من نوميديا وصولا إلى موريطانيا والمدن الساحلية مثل قيصارية ومدينة سبتة، أما الأراضي الأخرى فقد استرجعتها القبائل المورية وسيطرت عليه

ما عادا ذلك فإن الاحتلال البيزنطي لم يتوغل في الداخل وكانت المناطق الأخرى تحت سلطة قادة المور، وبهذا فقد فشلت السياسة البيزنطية في التوسع نحو الداخل لا سيما في المناطق الداخلية لموريطانيا القيصرية والطنجية، حيث أن سهولة القضاء على الوندال لا تعني سهولة التوسع والتوغل إلى الداخل و إخضاع القبائل المورية، حيث وجدت السلطة البيزنطية مقاومة عنيفة من طرف السكان المحليين الذين أفشلوا المخططات التوسعية البيزنطية في الداخل بعد كشف نوايا الاحتلال البيزنطي الذي كان يذكر ويقر أنه أتى لبلاد المغرب كمحرر للسكان من التعسف الوندالي وليس كمستعمر، ولكن ما حصل كان عكس ذلك إذ باشر القادة البيزنطيون سياستهم التوسعية ومصادرة الأراضي، الأمر الذي لم تتقبله القبائل المورية، حيث بدأت سلسلة صراعات لم تتوقف طيلة الاحتلال البيزنطي والى غاية سقوطهم على يد المسلمين أواخر النصف الأول من القرن السابع للميلاد أي سنة 647م.

من أشـــهر المقاومات البربرية للاحتلال البيزنطي ثورة الأمير يبداس الذي كان يحكم مملكة الاوراس وقد دامت مقاومته أكثر من خمس سنوات (534-339م) تمكن خلال هذه المدة من تحقيق عديد الانتصارات على البيزنطيين الذين فشـل قادهم سـولومون في التغلب عليه إلا بعد الاسـتعانة والتحالف مع أمراء الممالك البربرية الأخرى أمثال ماسوناس وأورتياس.